خطبة صلاة الجمعة 4/9/2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الدعوة إلى رد الحقوق لأصحابها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1، 2].

قال ابن كثير: يهدي إلى الرُّشد أي يهدي إلى السَّداد والنَّجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10].

قال المفسرون: معنى قوله: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق، والرَّشَد والرُّشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ✕: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّ إِلاَّ نَفْسَهُ وَلاَ يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة السابعة والعشرون في سلسلة (دليل إرشادي)، تتناول كلُّ خطبة منها مشكلة اجتماعية أسرية أو مالية أو أخلاقية وقع فيها عددٌ منَّا وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتُقدِّم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى، تعينه على رؤية الطريق وتُمكِّنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزةً تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة، لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذ الاختلاف بين البشر سنة والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: **(الدعوة إلى رد الحقوق لأصحابها)**

المسألة:

لي صديق أحبه ويحبني نتسامر معاً ونتعاون ونتذاكر، بلغني مرة أنه اقترض من قريبه مبلغاً من المال ولم يرده ولايزال يسوّفه إلى اليوم مع معرفتي بملاءته المالية، وأخبرني يوماً أنه اشترى شقة سكنية واستلمها وتم فراغها باسمه ولا يزال للبائع عنده دفعة أخيرة لم يعطها له إلى اليوم، وقد فعل مثل ذلك بالمتعهد الذي عهد إليه بإعادة إكساء الشقة فاستوفى منه العمل كاملاً ولم يوفّه حقه وللمتعهد في ذمته حقوق إلى اليوم.

بتُّ أخاف على صديقي أن يهلك باعتدائه على حقوق الناس أو أن ينزل الله به بأسه، فكيف أدعوه إلى رد الحقوق إلى أصحابها، أرشدوني.

الدليل الإرشادي:

أيها الإخوة:

صديقك من صدَقَك لا من صدَّقَك، وإنما مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وخير الأصحاب من دلّك على الله مقاله ونهض بهمتك حاله، وإنما حاجة أحدنا لصديق صدوق يذكره إذا نسي، ويعينه إذا ذكر، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر كحاجتنا إلى الطعام والشراب، فشكر الله لهذا الصديق الذي يهتم لصديقه إذا وقع في الحرام ويَشْغَلُه الطريقة المناسبة لصده عن أكل أموال الناس بالباطل ودعوته لرد الحقوق إلى أصحابها.

ويمكننا أن نضمّن الدليل الإرشادي ثلاث فقرات تعين هذا الصاحب وأمثاله على دعوة صاحبه لرد الحقوق إلى أصحابها.

أولاً: بيّن لصاحبك أهميةَ رد الحقوق إلى أصحابها، وعظيمَ بخس الناس أشياءهم:

أخرج الإمام البخاري بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ».**

ومعنى (أدى الله عنه) أي يسر له ما يؤدي منه من فضله وأرضى غريمه في الآخرة إن لم يستطع الوفاء في الدنيا.

ومعنى (إتلافها) لا يقصد قضاءها.

و(أتلفه الله) أي أذهب ماله في الدنيا وعاقبه على الدين في الآخرة.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني وغيرهما قال صلى الله عليه وسلم: «**يدعى بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل فيقول: يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين، وفيم ضيعت حقوق الناس؟ فيقول: يا رب إنك تعلم أني أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم أضيع، ولكن أتى على يدي إما حرق وإما سرق وإما وضيعة، فيقول الله: صدق عبدي وأنا أحق من قضى عنك، فيدعو الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل رحمته**».

وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**».

وقال صلى الله عليه وسلم حينما سأله سائل: يا رسول الله، إذا قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ قال: نعم. ثم استدعاه وقال له: ماذا قلت آنفًا؟ قال: قلت كذا... قال: "إلا الدين... أخبرني بذلك جبريل آنفًا ". [رواه مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه وماله فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه حيث لا يكون دينار ولا درهم فإن كان له عمل صالح أخذ له منه بقدر مظلمته وإلا أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه**».

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «**أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**» [رواه مسلم].

في سورة النساء يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، فما الصلة بين أكل أموال الناس بالباطل وبين قوله ولا تقتلوا أنفسكم؟!.

كأني بالقرآن الكريم يوحي بالآثار المدمرة التي ينشئها أكل أموال الناس بالباطل في حياة الفرد والجماعة، إنها عملية إهلاك للنفس في الدنيا والآخرة وإهلاك لأواصر التعاون والتراحم في الجماعة.

ويريد الله أن يرحم عباده أفراداً وجماعات فينهاهم عن أكل أموال الناس بالباطل إن الله كان بكم رحيماً.

فمهما بينت لصاحبك أهمية رد الحقوق إلى أصحابها، وعظيم بخس الناس أشياءهم فأنت تعينه على رد الحق لأهله وتنقذه من هلكة وبوار.

ثانياً: اصحب صاحبك إلى مجالس العلم والذكر التي تبين له الحلال والحرام والشبهات:

وتبصره بحقوق العباد عليه، وتُظهر له الأوامر والنواهي المتعلقة بحقوق العباد في حياته، وتعلّمه كيفية رد الحقوق إلى أصحابها، وقال عطاء من التابعين: [مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه هذا] وقال ابن نجيم الحنفي: [... وكان التجار في القديم إذا سافروا استصحبوا معهم فقيهاً يرجعون إليه، وعن أئمة خوارزم أنه لا بد للتاجر من فقيه صديق].

ثم إن في مجالس الذكر والعلم ترقيقاً للقلب القاسي وتهذيباً للنفس الأمارة بالسوء، فهي مهبط الملائكة ومنازل الرحمة وموارد السكينة.

ثالثاً: قصّ عليه قصص رجال رجعوا عن ظلمهم وردوا الحقوق إلى أهلها:

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز إلى البوادي، فأصابه سحاب فيه برق وصواعق، ففزع من سليمان ومن معه، فقال عمر: إنما هذا صوت نعمة، فكيف لو سمعتم صوت عذاب؟

فقال سليمان: خذ هذه المائةَ الألف درهم وتصدّق بها، فقال عمر: أو خيرٌ من ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: وما هو؟ قال: قومٌ قصدوك من مظالم لم يصلوا إليك، لو جعلت لهم يوماً من نفسك ليراجعوك، قال: فجلس سليمان فرَدَّ المظالم.

أخرج الإمام أحمد عن جابر، قال: توفي رجل فغسلناه، وحنطناه، وكفناه، ثم أتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه؟ فخطا خطى، ثم قال: " أعليه دين؟ " قلنا: ديناران، فانصرف، فتحملهما أبو قتادة، فأتيناه، فقال أبو قتادة: الديناران علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حق الغريم، وبرئ منهما الميت؟" قال: نعم، فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيوم: "ما فعل الديناران؟" فقال: إنما مات أمس، قال: فعاد إليه من الغد، فقال: لقد قضيتهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الآن برَّدت عليه جلدَه".

ختاماً – أيها الإخوة:

نقول للأخ صاحب المسألة وأمثاله، شكر الله لك همك واهتمامك لسلامة صاحبك من الحرام وإعانته على رد الحقوق على أصحابها، وكذا فليكن الصديق. ننصحك بتذكير صاحبك بأهمية رد الحقوق إلى أصحابها، وعظيم بخس الناس أشياءهم، واصحبه معك إلى مجالس العلم والذكر التي تعلم الحلال والحرام والشبهات وترقق القلب القاسي وتهذب النفس الأمارة، وقص عليه بين الحين والآخر أخبار من رجعوا عن ظلم الناس وردوا الحقوق إلى أصحابها، ولا تنسه من دعائك في جوف الليل وبعد الصلاة أن يغنيه الله بحلاله عن حرامه وبطاعته عن معصيته وبفضله عمن سواه. والله أعلم.

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول اللهﷺ: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**.

والحمد لله رب العالمين